

صاحب الجلالة يترأس اجتماعاً بعمالة الدار البيضاء ويلقي خطاباً سامياً

الدار البيضاء ــ ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بمقر عمالة الدار البيضاء اجتماعاً موسعاً مع نواب ومنتخبي العاصمة الاقتصادية للمملكة ورجال السلطة المحلية بها.

وأثناء الاجتماع ألقى جلالته الخطاب التالي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة :

لم نرد أن نغادر مدينة الدار البيضاء دون أن نخاطب سكانها ومنتخبيها لنعبر لهم عما تركه في أعماق الوجدان ذلك اللقاء الذي جمع بيني وبين شعبي في الدار البيضاء، وذلك سواء بمناسبة التدشينات أو بمناسبة عيد ميلادي، لقد لمست فيه مرة أخرى كما قلت لكم في خطابي يوم ثامن يوليوز عمقاً جديداً ونوعية خاصة في التعبير عن تلك العواطف التي أعتقد شخصياً أنها مثل تلك الركائز التي يبنى عليها حصن ومجد ومستقبل، تلك الركائز التي لا يزيدها الزمان وتلاطم الأمواج والأحداث إلا رسوخاً في الأرض وتثبتاً وصحة ومتانة مثل المراسي التي ترسو فيها السفن، فأملنا في الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على البناء لنا ولأجيالنا في ظلال الحب والتقدير والاحترام المتبادل.

حضرات السادة أعضاء المجلس البلدي

سكان الدار البيضاء وناحيتها الأعزاء

إنني وأنا أجول بهذه المدينة التي هي العاصمة الاقتصادية للمغرب رأيت ما رأيت وحللت ما حللت، واعتبرت أن الاطار المادي الذي وضع لمدينة الدار البيضاء في العشرين سنة السابقة، وأن وسائل تنقيتها وتطهيرها وحفظها من كل الآفات لم تعد قادرة على أن تساير تطورها كيفاً ولا كماً، إن شبكة الطرقات ووسائل الانارة وشكبة المياه، كل هذه المصالح التي لا تربط بكل دائرة دائرة أو مقاطعة مقاطعة فقط، بل ترتبط بمصالح المدينة كلها، رأيت أن الوسائل الموجودة حالياً والسرعة التي نسير على وتيرتها الآن ستجعلنا في يوم من الأيام نعتبر ــ سواء نحن أو الأجانب ــ أن الدار البيضاء ليست تلك المدينة التي تحقق نمواً وازدهاراً ورخاء لها ولغيرها، بل ستصبح مصدر مشاكل يومية سواء بالنسبة للسكان أو المنتخبين المحليين، أو النواب، والحكومة والملك.

لذا قررنا أولا أن ننظر إلى مستقبل الدار البيضاء، وبما أننا نهيء تصميماً خماسياً للأمة وللبلاد، ونرصد له مبالغ من الأموال، قررنا أن نرصد لمدينة الدار البيضاء اعتمادات مالية بواسطة قروض من الدول الصديقة، وفي هذا الصدد اتصلت هاتفياً منذ يومين ببعض رؤساء الدول الصديقة، وأعتقد أن مطامحنا وأهدافنا بالنسبة للدار البيضاء التي سأحددها لكم تقتضي منا أن نصرف على الأقل 150 مليار سنتيم.

لكن كيف سيصرف هذا المبلغ ؟

أولا : إن قطار الدار البيضاء الذي سيسير تحت الأرض (الميترو) أو فوقها ــ خصوصاً وأن حركة السير داخل المدينة أصبحت لا تطاق ولا تحتمل ــ دلت الدراسات التي جرت بشأنه منذ ثلاث سنوات على أن تكاليفه ستبلغ 40 مليار سنتيم، ونظراً للأزمة المالية التي يعرفها العالم يمكننا أن نرصد لهذا المشروع حوالي 55 مليار سنتيم، لأن القطار داخل الدار البيضاء أصبح مسألة ضرورية خاصة إذا وقع شيء ــ لا قدر الله ــ واضطرت البلدية لاستعمال سيولة من السيارات للاسعاف، أو لعدة مسائل غير عادية.

ثانيا : فانه لا يخفى عليكم انه ضمن تخطيط الدار البيضاء كان الوادي الحار داخلها لا يكفي إلا لخمسمئة ألف أو ستمئة ألف تقريباً من السكان، غير أن الدار البيضاء أصبحت اليوم تضم ثلاثة ملايين من السكان، ولذلك سنضطر إلى إنجاز شبكة من الأودية الحارة، وهذا مشروع تمت دراسته، وأعتقد أنه يجب أن يرصد له ما بين 40 و50 مليار سنتيم.

ثالثا : عندما يرى الانسان سعة الدار البيضاء يلاحظ ــ وهنا تقع المسؤولية المباشرة على عاتق منتخبي الدار البيضاء على مستوى المقاطعات ــ أن جل العمارات لا تتوفر على الوسائل الضرورية والبدائية لمقاومة النيران إذا ما نشبت فيها ــ لا قدر الله ــ بحيث العمارات لا تتوفر في الغالب على ما يلزم لمقاومة النيران، ولا مصالح رجال المطافىء قادرة على القيام بواجب الاسعاف بالنسبة للمدينة، ولذلك لابد من بناء ثكنات للاسعاف وتكوين رجال آخرين لهذه المهمة، واقتناء آلات وسيارات خاصة لهذا الغرض.

وأخيراً يتوفر سكان الدار البيضاء على شاطىء جميل، غير أنهم يبدون وكأنهم يديرون ظهرهم لهذا الشاطىء، فالكورنيش أو الشاطىء بالدار البيضاء الذي يمتد في نظري من المسبح البلدي المجاور للمعرض الدولي إلى سيدي عبد الرحمان أو يزيد ليس في المستوى السياحي ولا الترفيهي ولا حتى المنظري بالنسبة للمدينة، لذلك لابد من تخطيط كورنيش جديد، ووضع تصميم جديد حتى يتحول منظر المدينة الذي كان يتميز بمداخن المصانع إلى منتزهات تمتد على أكثر من عشر كيلومترات يمكن ساكن الدار البيضاء والسائح الداخلي والأجنبي الوافد عليها من الترفيه على نفسه واستنشاق هواء البحر، ولكن لا يستنشقه بأنفه فقط بل بعينيه أيضاً.

كل هذه المشاريع ستشغل اليد العاملة، وتشغل المصانع الثانوية، سواء تعلق الأمر بالوادي الحار، أو القطار، أو بناء الثكنات، أو تخطيط وإنجاز مشروع الكورنيش، فهذه المشاريع ستشغل اليد العاملة وعدة معامل ثانوية بالنسبة للمعامل الرئيسية أو بالنسبة للمسائل التي سنستوردها من الخارج، ثم إن هذا العمل لن يقتصر على مقاطعة من المقاطعات، بل هو عمل شمولي بحيث كأن الدار البيضاء دولة صغيرة ومقاطعاتها بمثابة عمالاتها الصغرى، فعندما يكون هناك تخطيط من هذا المستوى فإنه يجب أن لا تشتت الجهود، وتقع مسؤولية التدبير والتفكير على الجماعة، كما يجب أن تكون مسؤولية الانجاز على عاتق شخص معين له من الصلاحيات والآليات والوسائل المادية والبشرية ما يجعله حتى وإن كان محاسباً لا يجد لنفسه أي تهرب أو أي سبب لعدم القيام بالواجب.

فلهذا اقتضى نظرنا رفقاً بالمنتخبين، واستعداداً للمستقبل، ومحبة في هذه المدينة الوطنية المجاهدة المقاومة الخلاقة أن ندخل تعديلا بسيطاً هو في الحقيقة تعديل شكلي على قانون 1976 المتعلق بالبلديات، لماذا ؟ رفقاً بالمنتخبين، لأن الديمقراطية سيف ذو حدين، فهناك الديمقراطية التي تؤتي أكلها وتعطي لبنها، وهناك الديمقراطية العقيمة.

فإذا تركنا الأمور على ما هي عليه بقطع النظر عن شخصية الانسان الذي هو على رأس مجموعة مقاطعات الدار البيضاء الذي نعرفه، ونعرف ماضيه وحالته، والذي لا علاقة لشخصه بموضوع مذاكرتنا، فإن أي أحد كان في مكانه سيواجه نفس المشاكل، لأنه كما تقول العامة : «البحر إذا تفرق أصبح سواقي» ولكن رفقاً بالديمقراطية وحتى نعطي لها حصيلة يجب أن تبقى اختصاصات المجلس البلدي للدار البيضاء هي اختصاصاته، كما يجب أن نبقي للمقاطعات وللمنتخبين **اختصاصاتهم.**

بقيت مسألة التنسيق والانجاز، فيجب أن تكون من اختصاص عاملنا، وهنا سأذكركم بما جاء في نص قانون 1976 إذ يقول الفصل 59 من الظهير المؤرخ بـ 30 شتنبر 1976 :

يدخل في اختصاصات المجموعة الحضرية أولا : الاشارات وكل ما يتعلق بالطرق والمواصلات.

هذا أوله في هذه المقاطعة وآخره في المقاطعة الأخرى، فالمصالح العامة كالماء والكهرباء، والنقل العمومي والحضري ومنشآت التبريد، وتدبير شؤونها تهم الدار البيضاء كلها، وكذلك التطهير وما احوجنا إليه في جميع مدن المغرب، وجمع الأزبال المنزلية ومعالجتها، فالانارة العمومية خارجة عن اختصاصات الجماعات، لأن هناك الجماعات وهناك الانارة الثانوية والثلاثية التي هي بنت الجماعات وستبقى مسؤولة عنها وعن الساحة الخضراء المهمة والرئيسية، وهنا مع الأسف لم تبق ساحة خضراء رئيسية ولا ثانوية، فأولادنا يعيشون بدون كلورفيل وليس لديهم الأوكسجين، سنستورد حدائق من البلاستيك حتى يمكنهم أن يعرفوا يوماً ما أن هذه وردة، أو تلك زهرة، لم نعد نحافظ على البيئة الطبيعية التي أعطانا الله إياها، هناك المجازر، وأسواق الجملة، والوكالات، والمقاولات، والشركات ذات الفائدة المشتركة، فهي كذلك عمومية:

وأخيراً مشروع مخطط التجهيز والعمران، فالتغيير المقترح يتعلق بالفصل 62 من الظهير الشريف المؤرخ في 30 شتنبر 1976 فسيعطي للعامل بالدار البيضاء صلاحية التنسيق بالنسبة للمصالح التقنية والادارية للمجموعة الحضرية وتنفيذ مقررات مجلسها، ولا يعد هذا رجوعاً إلى الوراء فيما يخص الديمقراطية، بل هو خطوة للأمام، وإلا أصبح منتخب الدار البيضاء في البلدية بعد تقويم ما قام به عاجزاً عن ترشيح نفسه مرة أخرى للانتخابات.

إنني أعطي بهذا للمنتخبين الوسيلة لكي يتقدموا للانتخابات وينجحوا، فالتعديل المقترح هذا لا يعني رجوعاً إلى الوراء، بل هو مثل حقنة الأوكسجين، وأعتقد شخصياً ـــ وأعوذ بالله من الأنانية ـــ أنه ليس هناك ديمقراطي بهذا البلد أكثر مني ويؤمن بها، لأن الديمقراطية ليست مهنة من المهن، فالديمقراطية بعد الكتاب والسنة، طريقة عيش باستمرار، هذه الحقنة من الأوكسجين هي في الحقيقة لمصلحة الديمقراطية، لأنها ستعطي للديمقراطية مدلولها.

وستعرض على أنظار البرلمان لأن هذا التغيير داخل في نطاق البرلمان، وفي إطار صلاحياته، لأن القانون يجب أن يغير، ومما لاشك فيه أن المنتخبين المحليين للدار البيضاء، والمنتخبين على الصعيد الوطني للدار البيضاء ونواحيها، لأن هذا لا يتعلق بها فقط، بل انه يتعلق بالمقاطعات السبع التي تدور في فلكها ستكون قبل أن يجتمع البرلمان هي المفسرة، بل هي الداعية، بل هي الراغبة في هذا الاصلاح الذي أعتقد أنه سيجري على الدار البيضاء عشرات السنين.

150 مليارا ليست سهلة، وستصرف في الدار البيضاء على النقل العمومي والحضري، والانارة والتطهير،

ولتجديد الكورنيش، ولاعطاء الدار البيضاء ونواحيها صلاحية لتكون حقيقة جوهرة المحيط الأطلسي، فيلزم أن لا تكتفي المدينة فقط بأنها ستكون هي المرسى الأول وإن كان المرسى الأول يُكون خطراً، كنت ذات يوم أتحدث مع أحد المهندسين الأوربيين فقال لي : الدار البيضاء إن اقتضى الحال تبرر قنبلة ذرية، قلت كيف ؟ قال : القنبلة الذرية تكلف مئات الملايير، ولكن كون المرسى الأول بالدار البيضاء هو المتنفس الوحيد القادر على أن يضخ الدم أو يأتي بالأوكسجين للبلاد يبرر ثمن قنبلة ذرية.

فلهذا من جملة ما سنعمل له، أريد أن أقول للناس : انني أطمئنكم، فبعد ثلاث سنوات أو أربع ربما سيكون كل من أراد أن يستثمر هنا في الدار البيضاء استثماراً جديداً أؤكد لكم انه سيجد من الادارة عراقل لأنه على بعد 80 كيلو متر من الدار البيضاء سيكون هناك أجمل مرسى في الجرف الأصفر، والجرف الأصفر لا ينبغي أن يكون مرسى فقط، بل ينبغي أن يكون مدينة ثانية، ومتنفساً ثانياً، لا أقول : إننا سنتخذ تشريعات إدارية من الآن، لأن هنا من يتوفر على تخطيط واستثمار أمواله في مشروع، ولكني أقول : انه ابتداء من الثلاث سنوات القادمة على الأكثر والأقل لا تنتظروا أن الادارة ستعطي رخص الاستثمار في الدار البيضاء بسهولة وبنفس السهولة التي كانت من قبل، إذا الدار البيضاء قامت باعمال التطهير ومحاربة دور القصدير، ولا أخفي عليكم، فقد كنت مسروراً لمشاهدة أفراد شعبي في الحي المحمدي يوم زرت هذا الحي لتدشين المجموعة السكنية الجديدة، غير أن عيني إذا كانت تضحك فقلبي كان يبكي، وكما قال جدي صلى الله عليه وسلم «لا أرضى وواحد من أمتي في النار» ولا أرضى وواحد من شعبي يعيش على تلك الحالة المزرية، فأنا المواطن الوطني الذي كبر وسمعت ذلك الحي يدعى الكريان سنطرال، ونسب له والدي رحمه الله حتى قيل فيه : إنه ملك الكريان سنطرال، وكنا نفتخر بذلك، ولكني لا أرضى أن يبقى المغرب الذي ينشد الخير والاحسان بعد 25 سنة من الاستقلال على هذه الحال، اننا لم نر إلا ما يدمي القلب.

فالدار البيضاء تملك مستقبل عشرين سنة أخرى قادمة من العمل فالمقاولون لديهم ما يعملون فلا داعي للخوف، وأرباب المعامل والمصانع لديهم ما يصنعون في مجال الأبواب والنوافذ ولوازم الأحياء السكنية الجديدة، والمجال مفتوح كذلك أمام باقي الصناعات المتعلقة بالقنوات ولوازم التجهيز السكني، وحتى إذا قلنا إن نشاط الدار البيضاء يجب أن يتجه إلى جهة أخرى، فالدار البيضاء أمامها مستقبل من النشاط يمتد عشرين سنة أخرى قادمة، وأؤكد أن مجال العمل متسع، ولكن مجال نظرنا ضيق، ولذلك إذا كان علينا أن نبني شارعاً في المستقبل فيجب أن يكون هذا الشارع واسعاً فسيحاً، يجب أن تكون نظرتنا كبيرة، لأن المغرب سيكبر والعالم كذلك.

هذه حضرات السادة المنتخبين نظرتنا للدار البيضاء، وعواطفنا بالنسبة لسكان المدينة هذه ونواحيها بكل ما أوتينا من بلاغة ومن صدق في القول. يجب أن تكونوا في المستوى، مستوى الوسائل التي سنضعها أمامكم ورهن إشارتكم، وفي مستوى السمعة التي ستكتسبها الدار البيضاء، إن الدولتين ستقدمان لنا قرض 150 مليارا أظن ما سبق لعاصمة اقتصادية أو سياسية من عواصم الدول النامية ان حصلت دفعة واحدة على مثل هذا المبلغ، وبهذا الكم من المال، ولذلك ستصبح الدار البيضاء — بالنسبة لعدة عواصم من الدول التي فاضت عليها الأموال ولا تعرف ماذا تعمل بها — حقلا للتجارب ومثالا يحتذى، فالدار البيضاء ستعيش مادياً ومعنوياً على هذا التخطيط لمدة عشرين سنة.

فعليكم المعول لتكونوا رجالا في المستوى وإن كنت شخصياً تطبيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم أقول : «ما اجتمعت أمتي على ضلال» فما اجتمع سكان الدار البيضاء على ضلال مهما اجتمعوا، عليكم لتكونوا

اذنهم وعينهم ولسانهم ويدهم أن لا تكونوا إلا على حق لا على ضلال، والحق والاستقامة ان تحليتم بهما فلن تبقيا في مستوى النية، بل ستنتقلان إلى الميدان لتظهرا فيه بكيفية جلية، وإن كانت هذه المشاغل التي هي عندنا بالنسبة للدار البيضاء ليست هي الوحيدة، فلدينا مشاغل كذلك بالنسبة للأطر الادارية، فيجب أن نعرف أن هؤلاء القواد الذين هم بجانب العامل فيهم من تعتبر مقاطعته من ناحية السكان أكبر من دائرة بعض القواد الممتازين في المغرب من حيث مشاكلها، ومن حيث تنوع تلك المشاكل، فلهذا قررنا خلق إطار جديد بوزارة الداخلية ألا وهو خلفاء العمال الذين هم واسطة بين العامل وبين القائد الممتاز، ولذلك فسيكون بجانب عاملنا في الدار البيضاء لمعاونته على القيام بما هو مناط به خمسة قواد سيصبحون خلفاء العامل، وسيكونون بجانبه يعملون في الدوائر مع رؤساء المجالس المنتخبة في تلك الدوائر.

وقد انتهزنا وجودنا هنا لننظر مجملا في بعض المشاكل التي تكتسي كذلك صبغة وطنية، فوجدنا هناك مشكلا هو المشكل الواقع في مستشفى ابن رشد، المشكل في الحقيقة ليس هو مشكل المستشفى، ولا وزارة الصحة، بل هو عدم وجود المقادير الكافية او الاعتمادات الكافية لجعل هذا المستشفى في نفس المستوى ونفس القالب الاداري مثل مستشفى ابن سيناء.

واننا بهذه المناسبة نشكر أولا الأطباء كلهم على عملهم وعلى استمرارهم في عملهم باخلاص رغم أن عمر هذا المستشفى يناهز في الحقيقة عمر سيدنا نوح، ورغم أن المعدات الموجودة لا تتناسب مع الضروريات.

وقد كان مقرراً أن نبني مستشفى جديداً يكلف أزيد من 100 مليار سنتيم، وأنا أتوجه بهذه المناسبة لوزير الصحة ولرئيس المقاطعة وللعامل لكي يحاولوا أن يقام المستشفى الجديد على انقاض مستشفى ابن رشد، لأن مستشفى ابن رشد يقع في الوسط، وجميع الطرق المؤدية إليه واسعة وتستجيب لعمليات الاسعاف بسرعة، وأخيراً سنوفر جميع مصاريف التجهيزات من ماء وطرق وكهرباء.

فلتطمئن أسر البيضاويين، وليطمئن الأطباء على هذا المشكل الذي اعتبره مشكلا وطنياً بالنسبة للدار البيضاء، لأن مستشفى ابن رشد بما له من كفايات بشرية على مستوى الأطباء ومستوى الأطر دون الأطباء، وأقول شخصياً : ان المستشفى ليس في مستوى مسؤوليتهم، وأعطي للأطباء الوعد بأننا سنشرع في الانجاز، وريثما يكون هذا المستشفى الجديد مهيأ أطلب من هؤلاء أن يعيشوا على الأمل، لأنه ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، وأن يعيشوا بالايمان والثقة التي عهدوها فينا على أن المستشفى سينجز، ولكن عليهم أن يطلبوا من الممرضين وغيرهم أن يقوموا بواجبهم كما يقوم الأطباء بواجبهم بحيث أعدكم أن مشكل مستشفى ابن رشد اجعله مشكلي شخصياً ولو انني أعتبر كل المشاكل بالنسبة لي شخصية.

وأخيراً هناك مشروع عظيم جليل سيدخل في هذا التخطيط وهو يعود إلى زيارتي الرسمية الأولى للدار البيضاء سنة 1961 بعد وفاة الوالد رحمه الله حيث كنت إذ ذاك تعهدت ببناء مسجد في المكان الذي يوجد به الآن المسبح البلدي، ذلك المسجد الذي تظهر صومعته حينما يطل الانسان على شارع القوات المسلحة الملكية ويخترق المدينة كلها، اننا سنبني هذا المسجد على شاطىء البحر، حتى يمكن للمصلي أن يعبد الله في شخصه وفي ذاته العالية سبحانه وتعالى، ولكن يعبده وهو ينظر إلى سمائه ويستمع إلى أمواج بحره وتكون صومعته أقوى من منارة العنق بحيث تهتدي بها الباخرة التي ستمر مستقبلا بعد مائة سنة أو عشر سنوات تهتدي بضوء المئذنة التي يذكر فيها اسم الله خمس مرات في اليوم، وسأبحث الأمر مع وزير الأوقاف في أقرب وقت ممكن ويجب



أن يكون هذا المسجد ــ إن شاء الله ــ بمثابة مسجد حسان في عظمته وكبره ومستوى دوره، لأنه سيكون بيتا يذكر فيه اسم الله وتؤدى فيه فرائضه وتلقن فيه الشعائر الاسلامية وتربى فيه الأجيال المغربية.

وأنا أتفاءل خيراً لكون هذا اللقاء المعماري ــ لأننا الآن نخطط ونبني ولا نحلم ــ كان في شهر رمضان الشهر المبارك، وأملي أن أرى في السنة المقبلة الأوراش وقد فتحت، والسواعد وهي تعمل، والقلوب وهي تستبشر، والأرواح وهي تحمد الله سبحانه وتعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الخميس 4 رمضان 1400 ــ 17 يوليوز 1980